الباب الثانى

أهمية العقيدة وأثرها فى حياة الإنسان والمجتمعات

ان العناية بالإنسان ظهرت منذ بدء الخليقة فخلق الله آدم عليه السلام بيديه ونفخ فيه من روحه وتحدى به الملائكة وعلمه الاسماء كلها وأمرهم بالسجود له والقرآن كتاب غايته الانسان وهو كلمة الله الحق التى تنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة للرسالات وخاتماً للنبوه وقد أقرت حقيقة ان الانسان خلق لثلاث غايات كبرى هى عبادة الله ،تزكية النفس،عمارة الأرض والأصل هو عبادة الله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا ليعبدون }ووجود العقيدة قائم بحد ذاته انما المشكلة فإيمان البشر منها من عدمه والايمان بها درجات وهى اشبه بعلاقه الجنين بأمه الذى يحتاج لحبلها السرى والذى اذا انقطع مات الطفل ولن تموت الام فالانسان يحتاج الله والعقيدة في الاصطلاح العام هي ما انعقد عليه القلب وصدق به وتعذر تحويله عنه، لا فرق في ذلك بين ما كان راجعاً إلى تقليد أو ظن أو وهم أو دليل فالإنحراف فى

العقيدة لا تقف آثاره عند حدود العقيدة بل يسرى فى اوضاع الحياة الاجتماعية لان العقيدة هى المحرك الأول للحياة سواء ظهرت أو كمنت حيث أن أثر اعتقاد فاسد سيظهر لا محالة فى سلوك اجرامى فى حق نفسه أو فى حق الآخرين فنحن عندما نتكلم عن أثر العقيدة فى النفس انما نتكلم عن أثر العقيدة الاسلامية التى لا تحريف فيها ولا تبديل كما نتكلم عن إيمان الناس بها بين ايمان حق ربما أكثره نظرى وايمان فيه خلل أدى لتعطل فاعلية العقيدة فى المجتمعات المسلمة فى المجال العملى التطبيقى.

والعقيدة السليمة تربى الفرد وتمده بالايمان الموكول إلى ضمير الانسان أو النفس اللوامة بتعبير القرآن فكل مؤمن يصبح رقيباً على نفسه خاضع لرقابتها وهو أدرى بما يفرط فيه فقد يفلت من محاسبة المجتمع ولا يفلت عن حساب هذه النفس اللوامة وكل القوانين والشرائع الوضعية عاجزة عن أن تحكم الضمير وما من رقابة خارجية تغنى عن مراقبة النفس التى أرهفها الايمان وحملها أمانة الانسان ولا يمكن أبداً إرضاء الضمير فهو أمر مستحيل ، وفي اللحظات التي يخيل إليك أن ضميرك رضي عنك لا يكون في الحقيقة قد رضي إنما يكون قد مات وفى إحدى الاحصائيات أكد ثلث الشباب فى الجامعات الكندية انهم على

استعداد لإغتصاب زميلاتهم فى الجامعة اذا ضمنوا أن يفلتوا من العقوبة أى أن الضمير هنا لا اعتبار له انما الخوف كله من القانون الوضعى واذا ما وجد فرصة تلافى العقوبه لن يشعر بأى وخز فى ضميره وقد توصلت مارى كورس عالمة النفس بعد دراسة ستة آلاف ومائتين طالب وطالبة فى ٣٢ كلية أمريكية عبر ثلاث سنوات إلى أن ١٥% من الطالبات مررن بتجارب توصف فى اللغه القانونية بالإغتصاب وتبلغ عدد حالات ابلاغ السلطات النصف رغم قسوة قانون العقوبات الأمريكى الذى يعاقب على النوايا ويعاقب على كل جريمه منفرده حتى أن العقوبه قد تصل للحكم بالسجن إلى مئات السنوات .

فبدون الدين وبدون فكرة الجهاد الروحي المتصل للإنسان لا يوجد إيمان حقيقي لدى الإنسان باعتباره قيمة عُلْيا بدون ذلك ينتفي الإيمان فى إمكانية إنسانية الإنسان ، أو بأنه موجود حقيقة ويصبح كائن أو سلعة تستغل وتباع وتشترى وظهر ذلك السعار الجنسى والتوجه الحاد نحو اللذه الذى صاحب ظهور الانسان الفرد الملتف حول ذاته ومصلحته ولذاته الذى يجد خلاصه فى الاستهلاك واللذه فلا يطيق أى حدود أو قيود أو مسئولية لذا فهو غير قادر على إرجاء رغباته فهو يود تحقيقها الآن والايمان بالعقيدة الاسلامية له آثار نفسية واجتماعية وروحيه وعمليه

وسياسية بل حتى اقتصادية كما أنها تساعد الفرد على مواجهة التحديات التى تفرضها فلسفة وعصر ما بعد الحداثة ذات الطبيعة التدميرية للفرد قبل المجتمع فيصبح بسببها المجتمع مبنياً على رفض القيادات الدينية المطلقة والمتجاوزة كالدين فتنزع عنه الأمان النفسى لأن الانسان فى طبيعته يميل للرجوع لذات متعالية يستمد منها حقيقة وجوده ويستمد منها المعايير المتعالية للواقع كى يستطيع أن يتجاوز واقعه وبالنسبة للفرد فان عصر ما بعد الحداثة فى الغرب سيهيمن عليه القلق واللاعقلانية وقد يؤدى بالإنسان إلى الشعور بالازدراء وعدم الاكتراث وقد يقوده القلق والخوف إلى الانكماش والسلبية كما أنها ستضع الانسان أمام تحدى الولوج إلى عالم اللانهاية فإنكار وجود هدف أو غاية من الوجود هو تحدى فى حد ذاته وبسبب فقدان المطلق والمعنى واليقين يصبح الاستهلاك والسعار الجنسى هما البديل وهذا ما يفسر حالات التحرش والاغتصاب المنتشرة فى الغرب والشرق على حد سواء بسبب هيمنة نموذج الحداثة وما بعدها وتراجع دور الاسرة.

ومن الآثار النفسية المترتبة على عدم الأخذ بالعقيدة والايمان بها حيث أن قانون الفعل الشعورى الانسانى عدم استطاعة أى انسان مهما كان فعل شىء تجاه الآخرين ان لم يكن يفعله اتجاه نفسه ولا يقدر على

فعله اتجاه نفسه دون أن يفعله تجاه ربه فمثلاً لا يمكن أن تثق فى الناس قبل أن تثق فى نفسك ولا يمكن أن تثق فى نفسك قبل أن تثق فى ربك والثقة فى الله ليست محلها اللسان انما محلها القلب فالواثق بالله يرضى بقضائه وبما قسمه الله له ولا يجزع أبدا حينها فقط يستطيع أن يثق فى نفسه والآخرين لأنه يستمد الثقة من موجود أعلى بل من أصل الوجود نفسه الله سبحانه وتعالى وبالمثل فى كل فعل شعورى انسانى آخر فغياب الحلقة التى تربط المخلوق بالخالق يؤدى إلى : الخوف والجبن – توقع الأسوأ والتشاؤم الدائم – والتناقض فى الشخصية فاما تجده يقسو على نفسه بشده أو ما يعرف فى علم النفس بالمازوخية أو تجده على عكس ذلك يقسو على الآخرين أو ما يعرف بالسادية – الشعور بالوحده حتى وسط الجموع والاحتياج العاطفى – تعقيد أبسط الامور – الغضب السريع – عدم تقدير الذات ولا الآخرين – الكبر والخيلاء والغرور – التسلط وتمنى فشل الآخرين – الحكم على الناس بظاهر القول – أن يتحول الفرد إلى امعه إما يتغير سلوكه حسب الناس أو عكس الناس لأنه غير متعلق بمنهج واضح يكون الحلال فيه بّين والحرام فيه بّين – فقدان الشعور بالسعادة مهما كسب من رغد العيش – التخبط والحيرة والضياع (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) – عدم القدرة على التخلص من العادات السيئة – الشعور بعدم الأهمية وبالفشل – التفكير السلبى – الاهتمام

بإفراط بمظهره الخارجى لأن داخله فراغ – مقاومة الحقيقة والهرب منها ....الخ وهذا كله مجرد قطرة من بحر وتلك الأعراض منتشره بكثرة وظهرت لها كتب عديدة فيما بات يعرف بمساعدة الذات لمحاولة معالجتها فى الغرب وهى مع الأسف مستندة أيضاً للفلسفة المادية ذاتها التى تسببت فى تلك الأمراض وبالتالى ليست سوى مسكنات وخطورتها أنها تتعامل مع الانسان مهمله أهم جانب فى وجوده وهو الروح التى لا خلاص لها إلا بالعقيده أما أثر العقيدة والايمان فى حياة الفرد:

أ) تزكية النفس: السكينة والطمأنينة والأمان النفسى : {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } فالانسان يستشعر القلة والضعف مقارنة بما حوله من موجودات وكلما زاد علمه صغر حجمه والقلق هو مرض العصر الذى ضرب بجذوره فى الحياة العصرية الحديثة فظهرت فلسفات القلق والعبث وتفشى بين أبناء الغرب من الماديين أعلى نسب الإنتحار والجنون والهوس وتعاطى المخدرات .

- العزه والقوة : {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} فالإنسان يصيبه الضعف والوهن اما لأسباب خارجية كاستبداد وطغيان الحكام والدول المحتلة لأرضه أو لأسباب داخلية نفسية كالهوى والشهوات أو بيولوجية ككبر السن والمرض ولا يوجد تعبير أقوى من تعبير الشهيد

سيد قطب الذى قال قبل اعدامه ان اصبع السبابه الذى يشهد بوحدانية الله لا يمكن أن يكتب كلمة لإسترضاء عبداً من عباده أو أحداً من بنى البشر .

- وحدة النفس : {ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} والإنسان عبد وحر وهى ثنائية انبثقت من ثنائية الروح والجسد التى انبثقت من ثنائية أعلى هى ثنائية الخالق والمخلوق فإما أن تكون حراً مع الله عبداً لمن سواه أو تكون عبداً لله حراً مع من سواه ولا توجد حرية مطلقة فحتى الانسان الغربى يتوهم أنه حر لذلك قال روسو عن الشعب الانجليزى انه مخدوع فيما يعتقده انه حر ينعم بنظام برلمانى يختار أعضاؤه فالواقع انه لا ينعم بالحرية الا اثناء قيامه بالانتخابات فحسب ثم يرتد بعد ذلك إلى نوع من العبودية [يقصد عبودية الدولة] فإذا ما تعارضت الأوامر والنواهى فى مصادرها تشتت الانسان نفسياً وهو الظاهر اليوم من أحوال المسلمين حيث خضعوا بجزء من حياتهم لتعاليم الدين وجزء آخر لتعاليم الدولة القائمة على نموذج مغاير للثقافة الاسلامية مما أدى بهم إلى مسخ أصابهم .

ب) تزكية الفكر

- سعة النظر: الايمان بعقيدة يجعل الفكر يتجاوز السطح المادى إلى ما هو أبعد وآينشتين قال ان الخيال أهم من المعرفة فاذا ما اقتصرت حركة الفكر على الجولان فيما هو محسوس فقط من الموجودات فإنها حينئذ تسقط معطيات كثيرة من المعطيات المكونة للوجود عامة.

- تحرر الفكر: من التحيز المسبق الذى يقود لنتائج معده سلفا تخالف حتى الأسباب المنطقية المطروحه وأبسط قواعد الاستدلال المنطقى والبحث العلمى اما التحيز للعقيدة فهى تخالف الشهوات أصلاً فالتحيز لها هو تجاوز للتحيز نفسه وتحرر فكر الغرب انما هو تحرر فى نطاق التفكير فى المادة فجعل منها مقدساً فليس صحيحاً أن الحضارة الغربية بلا مقدس انما هى بلا ضمير مقدس فتم سحب القداسة من مجال الدين والاخلاق وكل ما هو مثال متجاوز للمادة إلى المادة نفسها.

- وحدة المعرفة: والوحده تختلف عن الواحدية فهناك فرق بين الثنائية الفضفاضة والثنائية الصلبة فالأولى بها نوع من التكامل اما الثانية فأحدهما يصفى الأخرى فتنتهى الى واحدية اما مادية أو روحية وهذا يعرف بوحدة الوجود فينتج عنه التمييز بين عالم الغيب والشهادة والجسد والروح والواقع والقيمة تميزاً اقصائياً فيغرقون بذلك فى ثنائيات متنافية أفضت لإشكاليات وحقائق تبنى لتتلائم مع الأفكار

المسبقة أما وحدة المعرفة فهى تلك التى تنبع من مصدر واحد فخالق العقل هو خالق النقل وخالق الكون والعلم هو خالق الدين فكل محاولة تفسر الظاهرة الانسانية تسقط من حسابها قدر الله ومشيئته وتستبدلها بالحتمية التاريخية أو المادية لا تفسر شيئاً على الاطلاق أما التفسير الاسلامى يفسر أحوال البشر فى ثنائية فى رفعتهم وهبوطهم وقوتهم وضعفهم ويدخل فى حسابه عالم الغيب والشهادة فى وحده متكاملة.

ج) تزكية العمل : اى عمل لا يتعلق بالله فهو مبتور فالانسان الذى يعمل بلا اعتبار لعقيده ولغرض دنيوى فقط ولم يحصل على حافز مادى ينتظره تقل همته ولذلك فى علوم الادارة يعطون أولويه بالغه لمسألة التحفيز الدائم للموظفين ومن أدوار القائد المهمه أن يقوم بتحفيز موظفيه بشكل دائم كى يقوموا بوظائفهم على أكمل وجه وقديما قيل ان المرء بإمكانه ان يعمل ٨ ساعات من أجل المال و١٢ ساعه من اجل مدير ناجح و٢٤ ساعة من اجل فكرة يؤمن بها مما يؤكد أن الإيمان بشىء يتجاوز المادة ويفجر طاقة الانسان داخلياً .

أثر العقيدة فى سلوك الفرد والمجتمع

لاريب في أن للعقيدة التي يحملها الإنسان أثرًا في توجيه سلوكه وتصرفاته، وأن أي انحراف في هذه العقيدة، يبدو واضحاً في حياة الإنسان العملية والخلقية، ويؤثر ذلك بشكل ملموس في حياة المجتمع؛ لأننا لا نستطيع الفصل بين المجتمع وأفراده، ونستطيع أن نعزو كل فضيلة قام بها الفرد أو حث عليها المجتمع إلى العقيدة، وكل رذيلة أتاها الفرد وتغافل عنها المجتمع إلى ضعف العقيدة في النفوس لا في ذاتها.

١-سلطان العقيدة على النفوس

كل عقيدة يحملها الفرد وتدين بها الأمة سواء أكانت صحيحة أم باطلة لا يقتصر أثرها على الناحية الفكرية استقامةً وانحرافاً، هدىً وضلالاً، بل لا بد وأن يظهر أثر هذه العقائد في جوانب الحياة المختلفة، ومن هنا جاءت الضرورة للعقيدة السليمة؛ لأنها الغذاء الروحي والضروري لسير الفرد والمجتمع في مضمار التقدم والحضارة وبمقدار تمسك الأمة وأفرادها بالعقيدة السليمة، بمقدار ما يكتب لهذه الأمة البقاء بشخصيتها المستقلة دون الذوبان في الأمم الأخرى.

وليس هناك عقيدة تحرر الإنسان من الشرك والعبودية لغير الله، كالعقيدة الإسلامية؛ لأنها عقيدة تصدر عن الله أولًا، ولأنها تسيطر على جميع مجالات الحياة وعلى النفس الإنسانية بقوة أكثر من قوة القانون

وسلطته، وبتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون والقانون وحده ما لم يستند إلى العقيدة فإنه يعتبر فاقدًا للقوة الروحية التي ينشأ عنها احترامه، فهو لن يضبط السلوك الإنساني في كل وقت ومكان، لإمكان التحايل عليه والهرب من العقاب والعقيدة سارية المفعول على الحاكم والمحكوم؛ لأنها مستندة إلى سلطان الله، أما القانون المستند لسلطان الحاكم فلا يسري عليه؛ لأنه هو منفذ هذا القانون ويفسره كما يشاء.

والعقيدة تمتاز عن القانون كذلك بأنها تنبع من الداخل، وتمتزج بضمير الإنسان ولا تفرض عليه من خارجه كالقانون، فهي تحكم التصرفات الظاهرة والباطنة التي تقع خفية عن القانون، ولهذا فهي تملك أن تورث الأخلاق والفضائل، وتملك أن تقول للإنسان: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه} ، ولا يملك ذلك القانون إن لم يكن مستنداً إلى العقيدة والإيمان بالجزاء الأخروي؛ لأن سلطانه وجزاؤه دنيوي جسدي، وسلطان العقيدة روحي وأخروي: روحي؛ لأنه ينفذ إلى روح الإنسان ويحكمه داخلياً، وأخروي؛ لأنه يدفع صاحب العقيدة عند الزلل للتوبة والاستغفار وإن وجب عليه حد يدفعه ليكشف نفسه للحاكم ليقيم عليه الحد ولو كان حد الرجم حتى الموت، وهو مطمئن لهذا الحكم خوفًا من سخط الله وعقوبته في الآخرة، كما فعل ذلك ماعز الأسلمي والغامدية زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن هنا تبرز قيمة العقيدة كدافع وباعث نفسي داخلي للفرد لسلوك المسلك العملي والخلقي الصحيح؛ لأن صاحب العقيدة الصحيحة لا يخالف بعمله عقيدته، وإذا انفلت المرء من هذه العقيدة يكون قد ارتكس في حمأة الشهوات البهيمية التي لا يضبطها ضابط، ويضعف عقله وقوته باستمرار أمام نزواته وأهوائه؛ لأنه ليس له ركن شديد يأوى إليه وإذا استقرت العقيدة في النفوس أصبحت مستعدة للتلقى للتنفيذ في الشرائع والأعمال، ولذلك نجد القرآن دائماً يربط بين العقيدة والتشريع .

٢- أثر هذه العقيدة فى سلوك الفرد

يمتاز صاحب العقيدة عن غيره بمحافظته على جميع ما أمر به الله واجتناب جميع ما نهى الله عنه ، وإذا خالف لله أمرًا أو نهيًا فسَرعان ما يؤنبه ضميره ويرجع إلى ربه تائبًا مستغفرًا،لذلك لن أتناول أثر العقيدة على الفرد في محافظته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والصدق والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرحمة والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل، ولن أتناول كذلك أثر العقيدة على الفرد من ناحية بعده عن الربا والزنا والسكر والكذب والظلم والعقوق والأنانية والحسد والحقد والسرقة والغش والخداع وغيرها من الرذائل؛ لأن تحلي رجل العقيدة بالفضائل وتخليه عن الرذائل أمر بدهي لمن استقام على عقيدته وتفاعل معها تفاعلًا إيجابيًّا، ولأن كل آية في القرآن إنما هي دعوة

لفضيلة أو نهي عن رذيلة، لذلك نكتفي بذكر أهم المميزات التي يمتاز بها رجل العقيدة غير ما تقدم وهي:

١- العقيدة تهب صاحبها عزة النفس؛ لما يشعر به من معية الله تعالى، لقوله سبحانه وتعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِين} ، ومن كانت هذه عقيدته فلن يستكين ولن يستعبد لغير الله تعالى وهذه الأنفة من الخضوع والعبودية لغير الله تعالى يصاحبها التواضع والرحمة لعبادة المؤمنين انطلاقا من قوله تعالى: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين} ، والمؤمن يعلم أن واهب العزة هو الله {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاء} فعزة المؤمن عزة إيمان وحق، وعزة غيره عزة غرور وفجور وكبرياء.

٢- صاحب العقيدة رجل يحتكم إلى كتاب الله ولا يستبدل به حكماً آخر، ويرضى بحكم الله ولو كان الحق عليه؛ لقوله تعالى:{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} وغير المؤمن يحتكم لقانون البشر الجائر قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}

٣- صاحب العقيدة رجل نشيط عامل منتج، لا يتكاسل ولا يتواكل، حريص على الوقت، لعلمه أن الله سائله عن عمره وعمله، فهو يعبد ربه باتقان عمله كما يعبد ربه بالصلاة والصيام، لقوله سبحانه: {فَإِذَا قُضِيَتِ

الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}.

٤- صاحب العقيدة عنده إيثار وتضحية وشجاعة، لا يخاف من بذل الروح والمال؛ لأنه يرى أن ذلك عبادة لله، وغيره يحسب أن دفع الزكاة ضريبة، وأن الجهاد بالمال خسارة وبالنفس إلقاء في التهلكة، فيحسب أن الرزق والأجل بيده، فالبذل يفقر والجهاد يقصر العمر والمؤمن يعلم أن كل ذلك بيد الله وأن روحه وماله ملك لدينه وعقيدته، يبذلهما عند الطلب، لإيمانه بقوله تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} ، وقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} .

٥- صاحب العقيدة عنده سعة نظر ووضوح في الهدف؛لأن عقيدته الصحيحة تجبيه على كل سؤال من الأسئلة التالية: من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ فهو يرى نفسه إذن أنه لم يخلق عبثًا لقوله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} ، إنما خلق لعبادة الله القائل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} وغير المؤمن محتار في الأسئلة السابقة، ممزق النفس، نظره ضيق، وهدفه غير واضح، يمثل هذا عمر الخيام في قصيدته التي يقول فيها: لبست ثوب العيش لم أستشر ... وحرت فيه بين شتى الفكر وسوف أنضو الثوب عني ولم ... أدر لماذا جئت أين المفر؟

٦- والعقيدة توقظ الضمير فتجعله مراقباً لله دائماً لا يعتريه ضعف ولا

يتبدل بالأمكنة والأزمنة؛ لأنه مستند لعقيدة سليمة، فهو في حذر دائم ضد الشر وبواعثه، وضد النفس وشهواتها، وضد الشيطان ونزغاته، لقوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّا} لذلك عندما عمرت العقيدة الضمائر والقلوب،صلح الظاهر والباطن حتى كأن على كل إنسان شرطيًّا يراقبه لإيمانهم بقوله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} وبقوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} ، فضمير المسلم إذن لا يعتمد على المراقبة الخارجية، بل هو نفسه مراقبة داخلية وحراسة مستمرة تمنع صاحبها عن اقتراب المعاصي ولو أتيحت له بعيدًا عن الأنظار.

٧- يمتاز صاحب العقيدة عن غيره بأنه مطمئن البال، مستريح الفكر، غير قلق على المستقبل ولا تمزق الأوهام نفسه؛ لأن له هدفاً يسعى إليه ومثلًا أعلى يطلبه، ألا وهو نيل رضوان الله وجنته وهو واثق أنه على الحق ولن يتسرب اليأس والقنوط إلى نفسه مهما واجهته من أخطار؛ لإيمانه بقوله تعالى: {إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ} هذه الطمأنينة والثقة يفقدها غير المؤمن ولا يعوضها الغنى والترف لما نرى من كثرة حوادث الانتحار والتمزق النفسي في أكثر الدول غنى ورفاهية.

٨- صاحب العقيدة عنده قيم وموازين ثابتة يزن بها الناس وهي موازين

عقيدته الثابتة، فالحق فيها حق والباطل باطل، والرذيلة فيها رذيلة والفضيلة فضيلة من عهد آدم إلى يومنا هذا، لقوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ} فالمؤمن إذن ذو شخصية ثابتة، ومن موازينه في الناس قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم}. وفي الخسارة قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وفي الربح قوله تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّار وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور} .

٩- صاحب العقيدة يوالي ويعادي لله، ويحب ويبغض لله، فلن يوالي عدو الله ولو كان أباه أو ابنه، ولن يعادي ولي الله ولو كان بعيدًا منه، ولن يحب من أبغضه الله، كما أنه لن يعادي من أحبه الله، كل ذلك لإيمانه بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ}.

١٠- صاحب العقيدة تتوازن فيه الروح والعقل والجسم، فلا يطغى فيه جانب على جانب، فلا هو مفرط في الروحانية المعذبة لجسده والملغية لعقله، ولا هو مفرط في العقل حتى يحكِّمه في الوحي والشرع، ولا هو مفرط في التربية الجسمية حتى يرتد كبهيمة هدفها الطعام والشراب كما

تعتبره المذاهب المادية، وشعارهم في ذلك:

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام ... فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام وهم في هذا كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُم} فالعقيدة توازن في الإنسان بين عقله وروحه وجسمه، فتجعله إنسانًا سويًّا، والمذاهب المادية التي ألغت اعتبار الروح جعلته نصف إنسان، ومن هنا يحدث القلق والاضطراب والحيرة والتمزق النفسي.

د- أثر العقيدة فى سلوك المجتمع

إن ما تقدم من تأثير العقيدة في سلوك الفرد هو كذلك تأثير للعقيدة في المجتمع، لأن الأفراد هم لبنات المجتمع، فصلاحهم صلاحه وفسادهم فساده، وكل جهد لتربية الفرد الصالح على العقيدة، هو جهد أصيل لتكوين المجتمع الصالح، لما يوجد من علاقة وثيقة بين الفرد والمجتمع وليس من السهل أن تؤثر عقيدة ما في الفرد دون أن ينعكس ذلك على المجتمع ولو على المدى البعيد؛ لذلك كان صلاح المجتمع بعد تطهير العقيدة من الشوائب الدخيلة عليها معتمدًا على تطهيره مما شانه من أعمال يقوم بها أفراده مناقضة للعقيدة ونلخص أبرز آثار العقيدة في المجتمع فى:-

١- أمة العقيدة أعرق أمة في التاريخ، وتاريخها حافل بالوقائع

والتجارب، قادتها الرسل، وقد بين الله للمؤمنين أمتهم الواحدة من اتباع الرسل بقوله تعالى في نهاية عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم المكذبين : {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} ، وأول قائد لهذه الأمة العريقة هو آدم عليه السلام وآخر قادتها وأجلهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم من سار على نهجه إلى يوم الدين وهذا التراث الكبير والتجارب العميقة تشكل الذخيرة الحية لأمة العقيدة، وهي الحضارة التي تملك الأمة أن تقدمها للإنسانية وهي واثقة ومطمئنة أنها ليست بحاجة لاستيراد القيم والأخلاق والعقائد من الأمم الكافرة؛ لأنها أمة متبوعة لا تابعة لغيرها.

٢- أمة العقيدة تتلقى الوحى للتنفيذ، لامجال عندها للتردد ومخالفة الأوامر، فإذا نزل القرآن يأمر بشيء أو ينهى عن شيء انقلب كل رجل إلى أهله يتلو عليهم ما أنزل الله تعالى، فيبادر الجميع لامتثال المأمور به واجتناب المنهي عنه.

٣- إن أمة العقيدة أمة لا تعيش لذاتها ومصالحها فقط، بل تحمل على عاتقها مسئولية إنقاذ البشرية مما هي فيه من الضلال، لأنها تشعر بنعمة اهتدائها إلى الله، لذلك تحب أن تهدي غيرها من الأمم وتشعر بخيريتها على سائر الأمم، لا خيرية الجنس واللون، لكن خيرية الدين والعقيدة انطلاقاً من قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ باللَّهِ}فأمة العقيدة تتعامل مع غيرها على هذا الأساس، وهذا هو الذي أخرج الصحابة من ديارهم وأموالهم يطوفون مشارق الأرض ومغاربها يهدون للنور الذي هداهم الله إليه، لا كما يزعم أعداء الله أنهم خرجوا طلباً للقوت واستعمار الأمم والشعوب.

٤- أمة العقيدة هي الأمة الوحيدة التي يستوي فيها الناس جميعاً حاكمهم ومحكومهم، ويستطيع الفرد العادي فيها أن ينصح الحاكم دون هيبة من سلطانه؛ لأنه يعلم أن الحاكم منفذ للدين وحارس للشريعة، ولذلك كان علماء الإسلام يناقشون الحكام وينصحونهم وإن زلوا يحاكمونهم إلى الشرع.

٥- أمة العقيدة أمة عزيزة الجانب مصونة لا تقيم حرباً أو سلماً إلا على أساس عقيدتها كما كان عمل الرسول صلى الله عليه وسلم أول مقدمه إلى المدينة مع مختلف الطوائف داخل المدينة وخارجها من الممالك والإمارات، وإذا جاهدت أمة العقيدة فليس هدفها من الجهاد إراقة الدماء ونهب الأموال،إنما هدفها تحرير الإنسانية من الحكام الكفرة، الذين يحولون بين أممهم وبين الدين الحق وأمة العقيدة تعلل كل وقائعها وانتصاراتها على ضوء عقيدتها،وكذلك إذا هزمت فإنها تقيس ذلك بميزان عقيدتها لتتعرف على عوامل هزيمتها مؤمنة بقوله تعالى: {إِنَّ

اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بقوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأنفُسِهِم}.

٦- أمة العقيدة تقوم الروابط بين أفرادها على العقيدة؛ لأن الروابط الأرضية من الجنس واللون واللغة والأرض والمصالح المشتركة، روابط ليس للإنسان فيها اختيار، فهو لن يستطيع اختيار جنسه ولونه ولغة قومه والأرض التي يولد فيها ،وهذه الروابط الأرضية لا تدوم ، فسَرعان ما يدب الخلاف بين أصحابها، أما رابطة العقيدة فهي أقوى وأقوم، لذلك كان المجتمع الإسلامي الأول يضم العربي والفارسي والرومي والحبشي والهندي، هذه الجنسيات كلها يجمعها اسم الأمة الإسلامية، بدون فوارق عرقية أو طبقية ولقد قامت الإمبراطورية الرومانية قديماً على أساس طبقي:العبيد والأشراف، وتقوم الشيوعية حالياً بالتفريق بين العمال وأصحاب رءوس الأموال، وكذلك المجتمعات الغربية تفرق على أساس العرق واللون، وهذا ما يؤكد أنه ليس هناك مجتمع عالمي إنساني مفتوح لكل أبناء البشرية غير مجتمع العقيدة الإسلامية لذلك لما شعر أعداء الأمة الإسلامية بالخطر، وتنبهوا لسر قوتها، لجأوا لتحطيم هذه القوة بإقامة أصنام سموها الوطن والقوم والجنس وهي التي ظهرت على مدى التاريخ باسم الجنسية الطورانية أو القومية الفرعونية والفينيقية والفارسية والعربية، وغيرها من الأسماء والشعارات التي لم تلق رواجاً إلا عندما ضعفت العقيدة في النفوس، فأصبحت هذه الأصنام

والشعارات مقدسات ويعتبر الخارج عليها كافراً بوطنه وقوميته خائناً لبلده يجب محاربته والقضاء عليه.

٧- مجتمع العقيدة مجتمع يفتخر بأصله ويعتز بانتسابه لآدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وكل ما في الكون مسخر لخدمته ونفعه لقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}.

٨- مجتمع العقيدة مجتمع قوى متماسك يشد أفراده على أيدي بعضهم بعضاً كأنهم بنيان مرصوص، آمالهم وآلامهم واحدة؛ لأنها نابعة من عقيدتهم، وكلهم يسعون لتحقيق العدل والمحبة والأخوة، ليعيش كل فرد في هذا المجتمع آمناً على دينه وروحه وعقله وماله وعرضه، ولكل فرد في مجتمع العقيدة حق العمل، وإلا فالدولة توفر الضروريات للعاجزين عن العمل وللذين لا يجدون ما يكفيهم.

- أمثلة لآثار العقيدة

نذكر فيما يلي أمثلة من أبرز آثار العقيدة باختصار :

١- سحرة فرعون يقولون له بعد أن هددهم لما آمنوا بموسى ما قاله تعالى عنهم: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} ويصبرون للصلب والتقطيع حتى الموت، ونالوا الشهادة صابرين.

٢- أصحاب الأخدود يلقون الموحدين في النار فيموتون فيها، حتى لا يكفروا وقد ذكرهم القرآن بالثناء عليهم وذم من عذبوهم .

٢- عندما استشار يهود بني قريظة أثناء الحصار أبا لبابة فأشار لهم بأنه الذبح قال: والله مازالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق إلى المسجد فربط نفسه بعموده حتى نزلت توبة الله عليه وحله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤- عمير بن سعد في حجر زوج أمه جلاس بن سويد بن الصامت، فقال جلاس في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة نابية، فقال عمير: يا جلاس، إنك لأحب الناس إليّ وأحسنه عندي يدًا، وأعزه أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك، ولئن صمت ليهلكن ديني ولأحدهما أيسر على من الآخر، ثم أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- الإمام أحمد بن حنبل يطلب منه المأمون أن يقول بخلق القرآن فيرفض، فيسجنه ببغداد مقيداً بالسلاسل، ويأتي المعتصم بعد المأمون فيزيد البلاء بالضرب والسحب ويتناوب عليه الجلادون وبعضهم يقول: يا أمير المؤمنين: دمه في عنقي ليغريه بقتله، ولا يزيد الإمام أحمد على قوله: أعطوني شيئًا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويبقي في السجن ثلاثين شهراً يقاوم السلطان، حتى انتصر رحمه الله

عليهم بغير جيش ولا سلاح، إلا سلاح الإيمان والصبر والتمسك بالعقيدة الصحيحة، فكانت فتنته نهاية لهذا المذهب، فمن زمانه دفنت هذه العقيدة في بطون الكتب فأصبح حب أحمد شعار أهل السنة.

٦- شيخ الإسلام ابن تيمية يحاسب غازان التتري رابع ملك مسلم من التتار الذي احتل دمشق حتى شرد أهلها وبقي شيخ الإسلام بفئة قليلة فخرج إليه وقال له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضٍ وإمام ومؤذن، فعلام تغزو بلادنا؟ أبوك وجدودك كانوا كافرين وما غزونا بعد أن عاهدونا وأنت عاهدت فغدرت ولما قدم له غازان الطعام رفض أكله قائلًا: نهبتم أغنام الناس وطبختموها بأشجار الناس ودار بينه وبين غازان جدال طويل لم يخش فيه سلطانه وهيبته.